لغة الجسد في القرآن الكريم

الوجه نموذجا

إعداد

د/ أحمد محمد علي المصري

مدرس التفسير وعلوم القرآن، في كلية أصول الدين والدعوة

بأسيوط، جامعة الأزهر ، مصر

لغة الجسد في القرآن الكريم الوجه نموذجا

أحمد محمد علي المصري
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، جامعة الأزهر ، مصر
البريد الالكتروني: Ahmed.elmasry@azhar.edu.eg

الملخص :
يتناول هذا البحث التعريف بلغة الجسد وأهميتها في القرآن الكريم ، وأن لغة الجسد من أهم وسائل التواصل بين البشر لأنها فطرية فهي لغة تؤدي ما يؤديه الكلام وتعبر عنه الألفاظ ، وهي لغة مؤكدة ومقوية للمعنى ويُبنى عليها كثيرا من الأحكام ، وجاءت لغة الجسد في القرآن في آيات عديدة توضح المقصود بدلالة وصفية بالغة التصوير عميقة التأثير ، ومن أهم وسائل التواصل عبر لغة الجسد (الوجه) فهو على الخصوص له لغته الخاصة التي تعبر عن الإنسان ، فهو أشرف الأعضاء، وعليه تظهر المشاعر فهو مرآة النفس وعنوان القلب ، وقد رصد القرآن الكريم في آيات كثيرة لتعبيرات الوجه بدقة متناهية تفي بالمقصود ، وتصوره أحسن تصوير ، فجعله عنوانا على الفرح والسرور ، والغضب والحزن . فمشاهد القيامة عبارة عن وصف لحركات الجسد كان من أبرز تلك الأوصاف الوجه وتعبيراته. فجعله دليلا على أوصاف المؤمنين يوم القيامة بأن وجوههم مبيضة وناضرة وناعمة وضاحكة ومستبشرة ، وكذلك عنوانا للكافرين بأنهم أهل الشقاء فوجوههم سوداء مظلمة كئيبة حزينة يعلوها غبرة ، ويجللها الذل ويكسوها الانكسار.

الكلمات المفتاحية : لغة ، الجسد ، القرآن ، الوجه ، نموذج

Body language in the Holy Quran (the face as a model)

Ahmed Muhammad Ali ElMasri
Department of explanation and Quranic Sciences
Faculty of religion and preaching – Assuit – Alazhar university – Egypt
Email address ; Ahmed.elmasry@azhar.edu.eg

Abstract
this study is defining the body language and its importance in the Holy Quran as the holy Quran stated the body language is the most important Media for connection among people as it is a common sense of language that may lead to a speech and Express the speech and meanings so it is an essential language and in reaching the meaning and it is essential and accurate that built many provisions so the body language in the Holy Quran has been mentioned in many verses to show the evidence and the meanings descriptively by imaging a deep effects one of the most Media of connections is the body language and the face so it is particularly language that expressing the human as it is the most honorable member and it has shaped the feelings so it is the mirror of the soul and the meaning of the heart , and the Holy Quran stated that in many verses of that has been demonstrated properly and to clarify what is meant directly and to show and to imagine the best image so it was as an address of happiness and cheerful and anger and sadness , so the shape and the image of Resurrection is and descriptive image for body language in which more of it is meant by the face expressions and its meanings

Keywords: language – body – Quran – face – model

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوي ، والذي قدر فهدي ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وعلمه البيان بفضله العظيم ، والصلاة والسلام على سيد الخلق ، وإمام الحق سيدنا محمد ﷺ الذي بلغ الرسالة ، وأدي الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

وبعد .....،

خلق الله آدم عليه السلام بيده ، وأسكنه جنته ، وعلمه الأسماء كلها ، وعلمه اللغة التي يتواصل بها مع زوجته وبنيه ؛ ومن هنا ندرك أهمية الاتصال البشري.

والقرآن الكريم يقرر أن الله خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتفاهم والتواصل قال تعالى : {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] فالناس على اختلافهم شعبا وقبيلة ولغة ولونا أوجدهم الله للتعارف وتبادل المنافع بكافة أنواعها، ونقل الخبرات في كافة المجالات ولا يمكن ذلك إلا بوسيلة للتواصل والتفاهم فيما بينهم .

وعلى ذلك يكون الاتصال الإنساني على نوعين :

الأول : الاتصال الناطق (الكلام) وهو الاتصال الذي يكون عبر استخدام الكلمات المنطوقة والألفاظ المفهومة بين البشر .

الثاني : الاتصال الصامت (لغة الجسد) وهذه لغة تؤدي ما يؤديه الكلام وتعبر عنه الألفاظ ، لأنها لغة مشتركة بين جميع البشر؛ فهي فطرية في المقام الأول . لذلك اهتم القرآن الكريم بلغة الجسد اهتماما بالغا ، وذلك لدورها الفعال في تجسيد المعاني وتصوير الأحداث ، فلغة الجسد من أهم

وسائل الاتصال البشري تأثيراً ؛ لأنها تخاطب العقل والعاطفة معا فهي لغة حقيقية يتم التفاهم بها وينبني عليها كثير من الأحكام . وتكمن أهمية (لغة الجسد) في قدرتها على ترجمة ما يدور في أغوار النفس البشرية ، وإظهار ما تكنه الصدور ، وإعلان ما تحويه القلوب علي أعضاء الجسد الخارجية . والحركة الجسدية لها من التأثير الدقيق في إيصال المعاني والأفكار بصورة عميقة تفوق تأثير الكلام فهي لغة مؤكدة ومكملة للغة المنطوقة " والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط " [١] .

وجاءت لغة الجسد في القرآن في آيات عديدة توضح المقصود بدلالة وصفية بالغة التصوير ، عميقة التأثير ، دقيقة في التعبير فالقارئ المتدبر يقرأ وكأنه يشاهد ويسمع وكأنه حاضر في قلب الحدث . ومن أهم وسائل التواصل عبر لغة الجسد (الوجه) فهو على الخصوص له لغته الخاصة التي تعبر عن الإنسان وحالته النفسية والمزاجية ، فهو أشرف الأعضاء ، وبه يتوجه إلي خالقه داعيا ومتضرعا ، وبه يكون السجود على حقيقته لما له من القرب والشهود .

فالوجه يستطيع بمفرده أن يعطي رسالة واضحة المعالم تؤدي بمفردها ما يقصُر عنه الكلام .

ويُعد الوجه قبلة الأنظار، وصومعة الحواس ، ومعرض الأفكار ، وعليه تظهر المشاعر فهو مرآة الإنسان وعنوانه ، ويتميز بعض الناس عن بعض بسبب الوجه ، وأثر السعادة والشقاوة لا تظهر إلا فيه .

١) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٨٣) .

فطلاقة الوجه المصاحبة للكلام وسيلة مؤثرة في الحب والود بين الناس ، وعلي العكس فالوجه العابس الكالح يصنع حاجزا قويا بين المتكلم والمستمع ، ولذلك جاءت الوصية النبوية بطلاقة الوجه والابتسامة .

فسبحان الله الخالق المصور الذي جعل من الوجه عنوانا لصاحبه ، فقسمات الوجه لها من التعبير والوصف بحالة الإنسان أبلغ من الكلام فالصورة ناطقة من غير حديث ، والمشاهدة تغني عن المشافهة .

وقد رصد القرآن الكريم في آيات كثيرة تعبيرات الوجه بدقة متناهية تفي بالمقصود ، وصَوّره أحسن تصوير ، فجعله عنوانا على الفرح والسرور، والغضب والحزن .

فمشاهد القيامة عبارة عن وصف لحركات الجسد كان من أبرز تلك الأوصاف الوجه وتعبيراته. فجعله دليلا على أوصاف المؤمنين يوم القيامة بأن وجوههم مبيضة وناضرة وناعمة وضاحكة ومستبشرة ، وكذلك عنوانا للكافرين بأنهم أهل الشقاء فوجوههم سوداء مظلمة كئيبة حزينة يعلوها غبرة ،ويجللها الذل ويكسوها الانكسار .

من هنا جاء دور البحث بعنوان (لغة الجسد في القرآن الكريم الوجه نموذجا)

وجاء في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

المبحث الأول : مفهوم لغة الجسد وأهميته، وفيه مطالب :

المطلب الأول : مفهوم لغة الجسد

المطلب الثاني : لغة الجسد في النص القرآني وأهميته

المبحث الثاني : أحوال الوجوه في الدنيا ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : الوجوه المسودة

المطلب الثاني: الوجوه المنكرة

المطلب الثالث : الوجوه المساءة

المطلب الرابع : الوجوه المُنكَبة

المطلب الخامس : الوجوه الساجدة

المطلب السادس : الوجوه المتشوقة

المبحث الثالث : أحوال وجوه السعداء في الآخرة ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : الوجوه المسفرة

المطلب الثاني : الوجوه المبيضة

المطلب الثالث : الوجوه الناضرة

المطلب الرابع : الوجوه الناعمة

المبحث الرابع : وجوه الأشقياء في الآخرة ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : الوجوه المسودة

المطلب الثاني : الوجوه الباسرة

المطلب الثالث : الوجوه المُغبَرة

المطلب الرابع : الوجوه الخاشعة

المطلب الخامس : الوجوه المسحوبة

الخاتمة : وبها أهم النتائج والتوصيات ،ثم جاء الفهرس وفيه المصادر والمراجع.

وختاماً أسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا الصواب في القول والعمل ، وأن يجنبنا الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

مفهوم لغة الجسد وأهميته

المطلب الأول : مفهوم لغة الجسد

تعددت التعريفات للغة الجسد منها :

- " الحوار النفسي الذي يجري بين الأطراف المعينة والمعاني المنتقلة بينهم ، لا من خلال النطق ، بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت ، كنظرات العيون ، وتعبيرات الوجه وحركات الجسم"[١]
- " إشارات وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة ، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح ، فتصل من خلالها معلومات أو أفكار عن الشخص الآخر، بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه " [٢] .

ومن هذه التعريفات يتبين أن لغة الجسد هي رسائل معبرة عن الحالة الشعورية للإنسان ، منطلقة من جسد الإنسان لإيصال المفاهيم والرسائل التي تعبر عن المقصود من غير كلام ، فهي نوع من التواصل غير الشفهي بين الناس .

---

١) الاتصال الصامت ، د /عبد الله عودة ، ص ٢

٢) سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ،محمد محمود بني يونس ، ص ٣٤٠

المطلب الثاني

لغة الجسد في النص القرآني وأهميته

الكلمات لا تعكس دائما ما يعتقده الناس، وما يشعرون به، بينما تمتلك لغة الجسد قدرة خارقة على التعبير عما يختلج النفس الإنسانية ؛ فقد حوى القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تشير إلي هذه اللغة ، وبذلك يكون القرآن الكريم قد سبق كل النظريات الحديثة في هذا العلم .

" يُلفي القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات تشتمل على أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلي معان ، وقد تكون تلك الحركة سبيلا من سبل وصف المعنى وتشكيله ، وتكون سبيلها الكناية ، كتقليب الكفين في مقام الندم في التنزيل ، وقد أُجمع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وقد يكون ذكر هذه الحركات على سبيل وصف حقيقية ، ذلك أنها وقعت فعلا ثم وصفها الله لنا على أنها كواشف لحالات نفسية " [١] .

فمن الآيات القرآنية التي سجلت تلك اللغة : {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [مريم: ٢٩]

" "أَيْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً دَلَّتْ عَلَى أَنَّهَا تُحِيلُهُمْ عَلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ عَنْ قِصَّتِهِ، أَوْ أَشَارَتْ إِلَى أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ الْجَوَابَ عَنْ تَوْبِيخِهِمْ إِيَّاهَا وَقَدْ فَهِمُوا ذَلِكَ مِنْ إِشَارَتِهَا ، وَلَمَّا كَانَتْ إِشَارَتُهَا بِمَنْزِلَةِ مُرَاجَعَةِ كَلَامٍ حُكِيَ حِوَارُهُمُ الْوَاقِعُ عَقِبَ الْإِشَارَةِ بِجُمْلَةِ الْقَوْلِ مَفْصُولَةٍ غَيْرِ مَعْطُوفَةٍ " [٢] .

وصفت الآية الكريمة الأداء الحركي لمريم عليها السلام بلغة الجسد؛ حيث استخدمت الإشارة باليد وهي من أعضاء الجسد إلي عيسى عليه

---

١) البيان بلا لسان ، د مهدي عرار، ص ١٦٩ بتصرف

٢) التحرير والتنوير (١٦/ ٩٧)

السلام ، لأنها قالت { إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} [مريم: ٢٦] ، وقومها فهموا ما تريده منهم أن يكلموا هذا الرضيع عيسى عليه السلام ؛ لذا { قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا } فقد تم التواصل بينهم عن طريق لغة الجسد ، وليس بكلام منطوق ، فالإشارة تغني عن العبارة وتختصر الإشارة كثيرا من الكلام .

و قوله تعالى : {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [آل عمران: ٤١]

" أَصْلُ الرَّمْزِ الْحَرَكَةُ، يُقَالُ: ارْتَمَزَ إِذَا تَحَرَّكَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَحْرِ: الرَّامُوزُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالرَّمْزِ هَاهُنَا عَلَى أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِشَارَةِ كَيْفَ كَانَتْ بِالْيَدِ، أَوِ الرَّأْسِ، أَوِ الْحَاجِبِ، أَوِ الْعَيْنِ فَيَكُونُ الِاسْتِدْلَالُ بِتِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى الْمَعَانِي الذِّهْنِيَّةِ أَسْهَلَ ، وَمَعْنَى إِلَّا رَمْزاً إِلَّا مُتَرَامِزِينَ، كَمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ مَعَ الْأَخْرَسِ بِالْإِشَارَةِ وَيُكَلِّمُهُمْ " [١]

أظهرت الآية الكريمة الحالة التي كان عليها زكريا عليه السلام أنه مُنع من الكلام وحبس لسانه عن النطق وذلك علامة الحمل لزوجته ، ولكن كيف يتواصل مع الناس وهو نبي لابد أن يبين لهم ما يحتاجون ومن ثم جاء ذلك بالرمز والإشارة، لَا بالكلام والعبارة وهي لغة الجسد ، ثم يأتي الإعجاز الإلهي في لسانه حيث حبس عن الناس ، وانطلق مع خالقه بالذكر والشكر ، فالرمز للناس سد مسد الكلام وقام مقام النطق والحرف في فهم المقصود .

واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم لغة الجسد باستعمال الإشارة باليد لتوصيل المعنى وتقريبه للمستمع حيث قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

١) مفاتيح الغيب (٨/ ٢١٦) بتصرف

وَسَلَّمَ: «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا [١]

ورصدت السنة النبوية نوعا من تعبيرات الوجه الذي هو أهم أعضاء الجسد وعنوان لغته .

قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَإٍ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى، أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» [٢]

فتغير لون وجهه صلى الله عليه وسلم إلى اللون الأحمر دلالة على الغضب .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرظي، قَالَ: حُدثتُ أَنَّ عُتبة بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يقبلُ بعضَها فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حمزةُ، ورأوْا أصحابَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَزِيدُونَ ويكثُرون؛ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فكلمْه؛ فَقَامَ إِلَيْهِ عُتبة حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا ابن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ علمتَ مِنْ السِّطَةِ– الشرف – فِي الْعَشِيرَةِ –، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قومَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فرَّقت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وسفهتَ بِهِ أحلامَهم وعِبتَ بِهِ

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ،حديث رقم ٥٣٠٤ ، (٧/ ٥٣)

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةٍ فَلاَ بَأْسَ بِالْمُسَارَّةِ وَالمُنَاجَاةِ ،حديث رقم ٦٢٩١ ، (٨/ ٦٥)

آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وكفَّرت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أعرضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُلْ يَا أبا الوليد، أسمع"، قال: يا ابنَ أَخِي، إنْ كنتَ إنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا: وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا– ما يظهر للناس من الجن– تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نفسِك، طَلَبْنَا لَكَ الطبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نبرئَك مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التابعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتَّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: "أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ " قَالَ: نَعَمْ قَالَ: "فَاسْمَعْ مِنِّي"؛ قَالَ: أَفْعَلُ. فَقَالَ: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا} ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خلفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثم انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

فَقَامَ عُتْبَةُ إلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاَللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بغيرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ [1] .

فدلالة لغة الجسد ظاهرة في ملامح وجه عتبة فظهر عليه علامة الرضا بالنبي ودينه فذهب بوجه منكر وجاء بوجه راض .

قال أبو حيان التوحيدي " قل من يضبط في وجهه صفرة الفرق، حمرة الخجل، وإشراق السرور، وكمد الحزن، وسكون البراءة، واضطراب

١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦١-٢٦٢)

الريبة ، وقل من أجمع أمراً جليلاً إلا كاد القلق به يبدو في حركاته إلى أن يمضيه؛ فكذلك قلقه في وقت إمضائه كاد يكشف مستوره " [١]

وعلى ذلك يمكن أن نجمل أهمية لغة الجسد وتوصيلها للمعنى المراد في النقاط الآتية :

- قال الدكتور محمد الأمين موسى إن الآيات التي تناولت لغة الجسد " تشكل نسبة ٧٢% من العدد الإجمالي لآيات المصحف الشريف ، ولا شك أنَّ هذه الأرقام والنسب تبين مدى تواجد الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم " [٢]
- في دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية ،أن تأثير الكلمة في الحوار يساوي نحو ٧% ، وأن نبرة الصوت لها تأثير يساوي ٣٨% ، بينما تصل نسبة تأثير الحركات والإشارات إلى ٥٥% [٣]
- تختلف لغات البشر المنطوقة بين الناس ، فيصعب التواصل بين الأفراد في توصيل المعلومة وفهم المعني المراد ؛ لأن اختلاف اللسان يحبس الدلالة ويعيق المفهوم ، فتأتي لغة الجسد مفهمة للمعني ومبينة للمراد في رسالة واضحة تفهم المقصود لأنها لغة مشتركة بين أجناس البشر
- دائما ما ننقل رسائل غير لفظية ، وتكون في الغالب من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف ، فإن الحركة والإشارة والإيماءة تعد وسائل اتصال أساسية وجوهرية [٤]

---

١) البصائر والذخائر (٦/ ٩١)

٢) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم ص ١٨

٣) الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق ص ٣٤٠

٤) السابق بتصرف ص ١١٩

- لغة الجسد تعبر عن معلومات وجدانية تغني عن اللغة الناطقة ، وتكون قادرة على إيصال رسائل صامتة تغني عن الكلام كما في حالة الرضا تكون الابتسامة ، وفي الغضب تكون بتقطب الوجه وعبوسه .
- يبين فخر الدين الرازي أهمية لغة الجسد وفي مقدمتها الوجه " أن دلالته على الأحوال النفسية أتم من دلالة سائر الأعضاء عليها ، فالوجه هو أصدق الأعضاء في الدلالة ، وأن الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأخلاق الباطنة " [١]

لابد من التنويه بأهمية الاتصال الصامت وصدقه ؛ ومما يدل على ذلك أن الشرع أخذ الصمت بعين الاعتبار وبنى عليه أحكاما فقهية ، ففي عقد الزواج – مثلا – عدَّ الشرع صمت البكر علامة على قبولها عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البِكْرُ تُسْتَأْذَنُ» قُلْتُ: إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: « إِذْنُهَا صُمَاتُهَا» [٢]، وهذا يعني أن الصمت في مثل هذه الحالة أدى رسالة معينة لها مدلولها ، ولا شك أنها رسالة تتسم بالمصداقية [٣]

- ومن خصائص لغة الجسد
  - الإحاطة والشمولية
  - الدقة والعمق
  - الإرادية والتلقائية
  - الصدق والواقعية

---

١) الفراسة ص ١٤٩بتصرف ، الرازي

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كِتَابُ الحِيَل، بَابٌ فِي النِّكَاحِ ،حديث رقم ٦٩٧١ ، (٩/ ٢٦)

٣) الاتصال الصامت وعمقه التأثيري ص ١٢

- الاستقلالية
- التناظر والتقابل [١]

- تعد لغة الجسد لغة مكملة ، ومؤكدة للغة اللفظ كما في قوله تعالى : { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) } [المدثر: ١٩ – ٢٥] فالآية تصف هذا الرجل بأنه فكر بعمق فلُعن فكره وظهر علي وجهه علامات العبوس والبسور فلغة الجسد أكملت الصورة ، ونطقت بالواقع وشخصته بحقيقة ما تختلجه نفسه .
- تعد لغة الجسد أصدق تعبيرا من لغة اللفظ ، فقد تكشف لغة الجسد عن عدم صدق لغة اللفظ ، فمثلا ترى أحدهم ترجف رجلاه ويداه من شدة الخوف ، فتقول له لِمَ أنت خائف ؟ فيرد عليك أنا لست خائفا فتجيبه إذاً لماذا ترجف [٢] .

ويؤكد ذلك قوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: ٢، ٣]

من كل ما سبق يتبين لنا الأهمية الكبيرة في استعمال لغة الجسد لما لها من عمق في التأثير ، ودقة في التصوير ، والعلاقة التوافقية بين النفس وحركة الجسد التي تعبر عن الحالة النفسية الكامنة في الشعور فتظهر في وجه الانسان فهو المرآة الحقيقية لما تحويه القلوب وعنوان ما تطويه الأنفس؛ فلغة الجسد لها من القدرة في إيصال المعاني و الأفكار ما يفوق تأثير الكلام المنطوق .

---

١) من مفردات اللغة الإشارية في القرآن ص ١٠٦ وما بعدها بتصرف

٢) الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ص ٢٥ ، ابراهيم أبو عرقوب

المبحث الثاني

أحوال الوجوه في الدنيا

تعددت دلالات وجوه الناس في القرآن الكريم في كثير من الآيات بدقة متناهية وعمق في الدلالة عن حالات الوجوه التي تبين المعني النفسي وما تختلجه الصدور والتي يمكن قراءتها في ملامح الوجه ؛ فالوجه هو المرآة التي تعكس وتصف الحالة الشعورية للإنسان ، والوجه كاشف وموضح بأدواته التعبيرية عن حالة الفرح والحزن والغضب وغير ذلك ؛ فجاء القرآن الكريم واصفا وجوه الناس تجاه مواقف معينة في الدنيا ويمثله هذا المبحث وكذلك وصف وجوه الناس في الآخرة على نوعين : الأول وجوه السعداء، ويمثله (المبحث الثالث) ووجوه الأشقياء ، ويمثله (المبحث الرابع).

فسبحان الله الخالق المصور الذي جعل من الوجه عنوانا لصاحبه ، فقسمات الوجه لها من التعبير والوصف بحالة الإنسان أبلغ من الكلام فالصورة ناطقة من غير حديث ، والمشاهدة تغني عن المشافهة .

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إلا أبداها الله تعالى عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَالْغَرَضُ أَنَّ الشَّيْءَ الْكَامِنَ فِي النَّفْسِ يَظْهَرُ عَلَى صَفَحَاتِ الْوَجْهِ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا كَانَتْ سَرِيرَتُهُ صَحِيحَةً مَعَ الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس [1].

المطلب الأول : الوجوه المسودة

قال تعالي { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: ٥٨] {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيم} [الزخرف: ١٧]

١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٣٧)

في قوله {مسودّاً} ثلاثة أوجه: أحدها: مسود اللون ، قاله الجمهور. الثاني: متغير اللون بسواد أو غيره ، قاله مقاتل. الثالث: ان العرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسودّ وجهه غماً وحزناً ، قاله الزجاج ومنه: سَوَّدْت وجه فلان ، إذا سُؤتَه. (١)

وقال ابن الجوزي " أي أُخبر بأنه قد وُلد له بنت ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا قال الزجاج: أي: متغيِّراً تغيُّر مغتمٍّ، يقال لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غَمّاً وحَزَناً ". (٢)

"إِنَّمَا جَعَلَ اسْوِدَادَ الوجه كِنَايَةً عَنِ الْغَمِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَوِيَ فَرَحُهُ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَانْبَسَطَ رُوحُ قَلْبِهِ مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ، وَوَصَلَ إِلَى الْأَطْرَافِ، وَلَا سِيَّمَا إِلَى الوجه لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّعَلُّقِ الشَّدِيدِ، وَإِذَا وَصَلَ الرُّوحُ إِلَى ظَاهِرِ الوجه أَشْرَقَ الوجه وَتَلَأْلَأَ وَاسْتَنَارَ، وَأَمَّا إِذَا قَوِيَ غَمُّ الْإِنْسَانِ احْتَقَنَ الرُّوحُ فِي بَاطِنِ الْقَلْبِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ قَوِيٌّ فِي ظَاهِرِ الوجه، فَلَا جَرَمَ يُرَبَّدُ الوجه وَيَصْفَرُّ وَيَسْوَدُّ وَيَظْهَرُ فِيهِ أَثَرُ الْأَرْضِيَّةِ وَالْكَثَافَةِ، فَثَبَتَ أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْفَرَحِ اسْتِنَارَةَ الوجه وَإِشْرَاقَهُ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْغَمِّ كُمُودَةَ الوجه وَغُبْرَتَهُ وَسَوَادَهُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ جُعِلَ بَيَاضُ الوجه وإشراقه كِنَايَةً عَنِ الْفَرَحِ وَغُبْرَتُهُ وَكُمُودَتُهُ وَسَوَادُهُ كِنَايَةً عَنِ الْغَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ: ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَيْ مُمْتَلِئٌ غَمًّا وَحَزَنًا ". (٣)

والآيتان السابقتان توضحان مدي دلالة الوجه علي الحالة النفسية السيئة وهي ظاهرة (فسيولوجية) لا يستطيع الإنسان التحكم فيه فقد ورد في

١) النكت والعيون (٣/ ١٩٤)
٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٦٦)
٣) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٢٥)

النص القرآني (مسودا) بصيغة المفعول ؛ ومفاده أن السواد وقع عليه من الإخبار بولادة الأنثى التي كانوا يكرهونها فأثر هذا الخبر ظهر واضحا جليا على مرآة الإنسان ؛ وهو (الوجه)، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى (ظل وجهه) التي تفيد بداية يومه إلي نهايته مفعم بالحزن والألم الذي يكسو وجهه بالسواد الذي لحقه بولادة الأنثى ، أو بمعنى صار وجهه مسودا ، كما أن التعبير بـ (كظيم) وهو كتم الشيء وهو عمل قلبي امتلأ بالحزن فجاءت ملامح وجهه بالسواد كاشفة عن أثره النفسي العميق . وبعد وصف القرآن أصحاب هذه الوجوه بالسواد ؛ يصف حالة الاضطراب والحيرة التي كانوا عليها فقال سبحانه { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون} [النحل: ٥٩]هل يحتفظ بالأنثى مع كرهه لها ويرضى بالعيش ذليلا بين قومه ، أم يسارع إلي دفنها في التراب ، ثم ينعي القرآن فعلهم بقوله (أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون) .

وجاء الإسلام يهدي للتي هي أقوم ويصحح لهم انحرافهم الاجتماعي الخطير في كراهية البنات ، وينتقد هذا السلوك والنظرة الوضعية للأنثى ، فالإنسان بنوعيه (الذكر والأنثى) كريم على الله قال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]

المطلب الثاني الوجوه المنكرة

قال تعالي : {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحج: ٧٢]

{الْمُنْكَرَ}؛ أي : الأمر المنكر، وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعها، أو المراد بالمنكر الإنكار، كالمكرم بمعنى الإكرام؛ أي: تعرف في وجوههم إنكارها، وترى فيها علامته من العبوس والكراهة. وقيل: هو التجبر والتكبر.

واعلم: أنَّ الوجوه كالمرآة، فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها، فهي أثر أحوال الباطن، وكل إناء يترشح بما فيه، كتلون وجوه قوم صالح، فما ظهر عليهم في ظاهرهم، إلا حكم ما استقر في باطنهم.

والمعنى: أي وإذا تتلى على هؤلاء المشركين العابدين من دون الله، ما لم ينزل به سلطانًا. آيات القرآن ذوات الحجج والبينات، بدت وظهرت على وجوههم أمارات الإنكار، بالتهجُّم والعبوس والبسور، ونحو ذلك، مما يدل على الغيظ، والحقيدة الكامنة في نفوسهم، مما يسمعون منها. ثم بين مقدار ذلك الغيظ، ومبلغ أمره، أي: وإذا تتلى عليه آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا أمارات الإنكار، حالة كونهم يقاربون أن يسطوا ويبطشوا. {بـ} المؤمنين {الَّذِينَ يَتْلُونَ} ويقرؤون {عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} ويوقعوا عليهم الضرر، من فرط غيظهم وشدة غضبهم؛ أي: هم من شدة حنقهم على من يتلوا عليهم آياتنا من المؤمنين يكادون يثبون عليهم ويبطشون بهم، ويبسطون أيديهم وألسنتهم بالسوء. (١)

" والمنكر اسم مفعول بمعنى المصدر وهو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام ، وفي التعبير باسم المفعول عن المصدر دلالة علي معرفة الشيء

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٨/ ٤١٦)

المنكر ، وليس مجرد الانكار على وجه الإطلاق؛ إذ أن المصدر يدل علي مجرد الحدث فقط ، بينما اسم المفعول يدل على حدث وذات ، ويترقى الإنكار الذي يعرف من وجوههم إلي مقاربة البطش بالمسلمين يقال سطا يسطو إذا بطش به فيكاد يترجم إلي واقع فعلي " [1]

والآية الكريمة تدل دلالة واضحة علي هيئة الوجه الذي يدل علي الغضب والغيظ الذي يعلو وجوه الكافرين عندما يسمعون آيات الذكر الحكيم من المسلمين ، فقلوبهم امتلأت بمشاعر الكراهية والحقد والغضب فظهر ذلك على وجوههم من العبوس والكلوح ، بل إن الغضب الحاد من هؤلاء الكفرة لدى قارئ الآيات التي تدل على وحدانية الله والعقائد الصحيحة دعاهم إلي البطش بهم ومحاولة القضاء عليهم ، ولم ينطقوا بلسانهم كلمة واحدة ، وإنما كان ترجمة غضبهم على وجوههم بما تكنه صدورهم الصماء، وتحمله قلوبهم العمياء .

المطلب الثالث : الوجوه المساءة

قال تعالى : {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٧]

" يُقَالُ: سَاءَهُ يَسُوءُهُ أَيْ أَحْزَنَهُ، وَإِنَّمَا عَزَا الْإِسَاءَةَ إِلَى الْوُجُوهِ، لِأَنَّ آثَارَ الْأَعْرَاضِ النَّفْسَانِيَّةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْقَلْبِ إِنَّمَا تَظْهَرُ عَلَى الْوَجْهِ، فَإِنْ حَصَلَ الْفَرَحُ فِي الْقَلْبِ ظَهَرَتِ النَّضْرَةُ وَالْإِشْرَاقُ وَالْإِسْفَارُ فِي الْوَجْهِ وَإِنْ حَصَلَ الْحُزْنُ وَالْخَوْفُ فِي الْقَلْبِ ظَهَرَ الْكُلُوحُ وَالْغَبَرَةُ وَالسَّوَادُ فِي الْوَجْهِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ عُزِيَتِ الْإِسَاءَةُ إِلَى الْوُجُوهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَنَظِيرُ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي القرآن.

١) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية د عبد الله هنداوي صـ ٩٤

ليسوؤا عَلَى صِيغَةِ الْمُغَايَبَةِ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِلْمَعْنَى وَلِلَّفْظِ. أَمَّا الْمَعْنَى فَهُوَ أَنَّ الْمَبْعُوثِينَ هم الذين يسوؤنهم فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَأَمَّا اللَّفْظُ فَلِأَنَّهُ يُوَافِقُ قَوْلَهُ: وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ" [١]" .

ليحزنوكم بالقتل والسبي حزنًا يظهر في وجوهكم ". [٢]

والحالة الجسدية التي تصفها الآية ، فيها دلالة واضحة علي وصف حال وجوه اليهود ،التي تعلوهم من الأذى والإهانة ما يظهر أثره على وجوههم ، فالوجه كاشف لحالهم ، وهو السمة المعبرة عن النوازع النفسية الداخلية ، وعليه تبدو المشاعر والانفعالات الداخلية التي هي مظاهر السوء والكآبة والحزن .

المطلب الرابع : الوجوه المُنكَبة

قال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الملك: ٢٢]

" وَالْمُكِبُّ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَكَبَّ، إِذَا صَارَ ذَا كَبٍّ، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ أَصْلُهَا لِإِفَادَةِ الْمَصِيرِ فِي الشَّيْءِ مِثْلُ هَمْزَةِ: أَقْشَعَ السَّحَابُ، إِذَا دَخَلَ فِي حَالَةِ الْقَشْعِ، وَأَرْمَلُواْ إِذَا فَنِيَ زَادُهُمْ، وأَهْدى مُشْتَقٌّ مِنَ الْهُدَى، وَهُوَ مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ وَهُوَ اسْمُ تَفْضِيلٍ مَسْلُوبُ الْمُفَاضَلَةِ لِأَنَّ الَّذِي يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ لَا شَيْءَ عِنْدَهُ مِنَ الْاهْتِدَاءِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَخْلُو مِنْ تَهَكُّمٍ أَوْ تَمْلِيحٍ بِحَسَبِ الْمَقَامِ ". [٣]

١) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٣٠٢)

٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٦/ ٢٦)

٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٦)

" ذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ وُجُوهًا: أَحَدُهَا: مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي يَمْشِي فِي مَكَانٍ غَيْرِ مُسْتَوٍ بَلْ فِيهِ ارْتِفَاعٌ وَانْخِفَاضٌ فَيَعْثُرُ كُلَّ سَاعَةٍ وَيَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ مُكِبًّا فَحَالُهُ نَقِيضُ حَالِ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا أَيْ قَائِمًا سَالِمًا مِنَ الْعُثُورِ وَالْخُرُورِ وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمُتَعَسِّفَ الَّذِي يَمْشِي هَكَذَا وَهَكَذَا عَلَى الْجَهَالَةِ وَالْحَيْرَةِ لَا يَكُونُ كَمَنْ يَمْشِي إِلَى جِهَةٍ مَعْلُومَةٍ مَعَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ فَيَتَعَسَّفُ وَلَا يَزَالُ يَنْكَبُّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَكُونُ كَالرَّجُلِ السَّوِيِّ الصَّحِيحِ الْبَصَرِ الْمَاشِي فِي الطَّرِيقِ الْمَعْلُومِ " [1] . " وهو مثل للمؤمن والكافر " [2] .

" قَوْلُهُ تَعَالَى: (مُكِبًّا) أَيْ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ لَا يَنْظُرُ أَمَامَهُ وَلَا يَمِينَهُ وَلَا شِمَالَهُ، فَهُوَ لَا يَأْمَنُ مِنَ الْعُثُورِ وَالِانْكِبَابِ عَلَى وَجْهِهِ. كَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا مُعْتَدِلًا نَاظِرًا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْكَلْبِيُّ: عَنَى بِالَّذِي يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَبَا جَهْلٍ، وَبِالَّذِي يَمْشِي سَوِيًّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ. وَقِيلَ حَمْزَةُ. وَقِيلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ. وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، أَيْ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَدْرِي أَعَلَى حَقٍّ هُوَ أَمْ عَلَى بَاطِلٍ. أَيْ أَهَذَا الْكَافِرُ أَهْدَى أَوِ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَمْشِي سَوِيًّا مُعْتَدِلًا يُبْصِرُ لِلطَّرِيقِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ " [3]

في هذه الآية الكريمة يضرب الله مثلا واضحا بحال الكافر والمؤمن ؛ فالأول سُمي مكبا على وجهه يمشي متعثرا فهو تائه ضال متحير ، منحنيا

١) مفاتيح الغيب (٣٠/ ٥٩٤)

٢) تفسير الكشاف (٤/ ٥٨٢)

٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٩)

غير مستو ، لا يدري كيف يسير ، ولا أين يسلك بل في تيه وضلال وحيرة وتخبط ؛ فهو دائم النظر إلي ما تحت قدميه لا يلتفت إلي الهدى فنظرته قاصرة دنيوية ، ولا ينظر إلي الأمام فتكون نظرته بعيدة أُخروية ، فقد حرم نفسه من الهدى تائهاً في الطريق غريقاً في بحر التيه والضلال وما يلبث أن ينهض حتي يتعثر من جديد . فلا يصل إلي طريق الخير والصلاح ولا يهتدي إلي طريق الفلاح فهو في عناء دائم وضلال مقيم . وحال المؤمن حال من يسير معتدلا منتصب القامة ناظرا أمامه طريقه معروف وهدفه واضح مرسوم لا عوج فيه ولا عثرات لأنه يسير على منهج الله الذي سواه .

فحياة المؤمن هي اليسر والاستقامة والرشد ؛ يسير مرتفع الهامة في طريق مستقيم لا تري فيه عوجا ولا أمتا ، وحياة الكافر كلها ضلال وحيرة وتعثر وعناء ، وصدق الله { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: ١٥٣]

المطلب الخامس : الوجوه الساجدة

قال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } { سورة الفتح : ٢٩ }

"وَالسِّيمَا: الْعَلَّامَةُ، وَهَذِهِ سِيمَا خَاصَّةٌ هِيَ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ.

وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ مِنَ السِّيمَا الَّتِي وُصِفَتْ بِأَنَّهَا مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْحَاءٍ الْأَوَّلِ: أَنَّهَا أَثَرٌ مَحْسُوسٌ لِلسُّجُودِ، الثَّانِي أَنَّهَا مِنَ الْأَثَرِ النَّفْسِيِّ لِلسُّجُودِ، الثَّالِثِ أَنَّهَا أَثَرٌ يَظْهَرُ فِي وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَبِالْأَوَّلِ فَسَّرَ مَالِكُ

بْنُ أَنَسٍ وَعِكْرِمَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ مَالِكٌ: السِّيمَا هِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِجِبَاهِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ السُّجُودِ مِثْلَ مَا تَعَلَّقَ بجبهة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَثَرِ الطِّينِ وَالْمَاءِ لَمَّا اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ [1] .

وَقَالَ السَّعِيدُ وَعِكْرِمَةُ: الْأَثَرُ كَالْغُدَّةِ يَكُونُ فِي جَبْهَةِ الرَّجُلِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّفُونَ حُدُوثَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ وَلَكِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِسَبَبِ تَكَرُّرِ مُبَاشَرَةِ الْجَبْهَةِ لِلْأَرْضِ ،وَبَشَرَاتُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ فِي التَّأَثُّرِ بِذَلِكَ فَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَكَلَّفْهُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ رِيَاءً.

وَإِلَى النَّحْوِ الثَّانِي فَسَّرَ الْأَعْمَشُ وَالْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَالرَّبِيعُ وَمُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ. فَقَالَ الْأَعْمَشُ: مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ. وَقَرِيبٌ مِنْهُ عَنْ عَطَاءٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ حُسْنُ السَّمْتِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ نُورٌ مِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ: بَيَاضٌ وَصُفْرَةٌ وَتَهَيُّجٌ يَعْتَرِي الْوُجُوهَ مِنَ السَّهَرِ. وَإِلَى النَّحْوِ الثَّالِثِ فَسَّرَ سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ أَيْضًا وَالزُّهْرِيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْعَوْفِيِّ وَالْحَسَنُ أَيْضًا وَخَالِدٌ الْحَنَفِيُّ وَعَطِيَّةُ وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: أَنَّهَا سِيمَا تَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالُوا: هِيَ بَيَاضٌ يَكُونُ فِي الْوَجْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ كَرَامَةً لَهُمْ " [2]

وأما عن زمن هذه الوجوه قال الرازي : " وَقَوْلُهُ تَعَالَى: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ فيه وجهان أحدهما: أَنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ }[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٦] وَقَالَ تَعَالَى: { نُورُهُمْ يَسْعى } [التَّحْرِيمِ: ٨] وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ نُورُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ بِسَبَبِ تَوَجُّهِهِمْ نَحْوَ الْحَقِّ

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كِتَابُ الاعتكاف ، بَابُ الِاعْتِكَافِ وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ، حديث رقم ٢٠٣٦

٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٥، ٢٠٦)

كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ } [الْأَنْعَامِ: ٧٩] وَمَنْ يُحَاذِي الشَّمْسَ يَقَعُ شُعَاعُهَا عَلَى وَجْهِهِ، فَيَتَبَيَّنُ عَلَى وَجْهِهِ النُّورَ مُنْبَسِطًا، مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ لَهَا نُورٌ عَارِضِيٌّ يَقْبَلُ الزَّوَالَ، وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَى وَجْهِهِ يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ نُورٌ يُبْهِرُ الْأَنْوَارَ وَثَانِيهُمَا: أَنَّ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ مَا يَظْهَرُ فِي الْجِبَاهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالثَّانِي: مَا يُظْهِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي وُجُوهِ السَّاجِدِينَ لَيْلًا مِنَ الْحُسْنِ نَهَارًا، وَهَذَا مُحَقَّقٌ لِمَنْ يَعْقِلُ " (١)

ولا مانع أن يجتمع للمؤمن في الدنيا والآخرة ذلك الوصف قال الطبري " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله– تعالى ذكره – أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كلّ الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوّعِه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود " (٢)

في الآية الكريمة تصف الوجوه الموسومة بكثرة السجود ، وهذه الحالة هي التي تميزهم عن غيرهم فهي علامة في وجوههم من { أثر السجود } وهذه حالة مكثري الصلاة لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر وتجعل في القلب إشراقا ونورا وبهاءً ينطبع على الوجه فتخشع معه الأعضاء فتحصل نورانية في الوجه ، ووضاءة يراها كل ناظر ومشاهد ، وخُصت حالة السجود بأثرها الواضح ونورها المنجلي علي وجه المؤمن لأن العبد وهو ساجد يكون في

١) مفاتيح الغيب (٢٨/ ٨٩)

٢) جامع البيان للطبري (٢٢/٢٦٥)

أعلي درجات القرب ، وأرقى مقامات الأنس ، وأسمى حالات الخضوع والخشوع والعبودية الكاملة لله في أكمل صورها فيتلألأ وجه العابد نورا ، ويشع ضياءً ، وجاء الوصف بهذه الصورة الناطقة لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنهم أقوي المؤمنين إيمانا و أكملهم إحسانا ، ويبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس «اطْلُبُوا الْخَيْرَ وَالْحَوَائِجَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ» (١)

المطلب السادس : الوجوه المتشوقة (المتقلبة)

قال الله تعالي : {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٤]

" وَالتَّقَلُّبُ مُطَاوِعُ قَلَّبَهُ إِذَا حَوَّلَهُ وَهُوَ مِثْلُ قَلَبَهُ بِالتَّخْفِيفِ، فَالْمُرَادُ بِتَقْلِيبِ الْوَجْهِ الِالْتِفَاتُ بِهِ أَي تحويله عَن جِهَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ فَهُوَ هُنَا تَرْدِيدُهُ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ أَخَذُوا مِنَ الْعُدُولِ إِلَى صِيغَة التفعيل الدّلَالَة عَلَى مَعْنَى التَّكْثِيرِ فِي هَذَا التَّحْوِيلِ، قَالُوا كَانَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَعُ فِي رَوْعِهِ إِلْهَامًا أَنَّ اللَّهَ سَيُحَوِّلُهُ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُرَدِّدُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ ، فَمَعْنَى{ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً } لَنُوَجِّهَنَّكَ إِلَى قِبْلَةٍ تَرْضَاهَا ، وَالْخُطَّابُ لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْرُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنْ إِرْضَاءِ رَغْبَتِهِ، وَسَيَعْقُبُهُ بِتَشْرِيكِ الْأُمَّةِ مَعَهُ فِي الْأَمر بقوله: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ." (٢)

---

١) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٨١) ، إسناده ضعيف

٢)التحرير والتنوير (٢/ ٢٧-٢٨) بتصرف

وسبب نزولها: أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يحب أن يوجه إلى الكعبة، قاله البراء ، وابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية، وقتادة. (١)

وروي البخاري بسنده عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ " (٢)

" وذكر الوجه لأنه أعم وأشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب، فالوجه يتقلب بتقلب البصر، وقال قتادة والسدي وغيرهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى قبلة مكة، وقيل كان يقلب ليؤذن له في الدعاء، ومعنى التقلب نحو السماء أن السماء جهة قد تعود العالم منها الرحمة كالمطر والأنوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، وتَرْضاها معناه تحبها وتقر بها عينك " (٣)

" وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً فلنمكننك من استقبالها من قولك: وليته كذا، إذا صيرته

١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٢١)

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم ، بَابُ التَّوَجُّهِ نَحْوَ القِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ ، حديث رقم ٣٩٩

٣) المحرر الوجيز (١/ ٢٢١)

والياً لـه، أو فلنجعلنك تلـي جهتهـا تَرْضـاها تحبهـا وتتشـوق إليهـا، لمقاصـد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته " [١] .

جاءت الآية الكريمة وصفا لوجه الحبيب المحبوب نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم مقلبا وجهه إلي السماء بدعاء قلبي لأنه يعلم أن ربه مطلع علي سريرته أن يحوله إلي قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام بدلا من بيت المقدس ولكن بدون كلام أو سؤال ، وهذا أدب منه صلى الله عليه وسلم في الدعاء ، ولكنه (قلَّب) وجهه إلي السماء مكان إيتاء الوحي ومنبع الرحمة ، فكان هذا التطلع بتقليب وجهه صلى الله عليه وسلم رغبة صامتة منه في تحقيق عاطفته نحو هذا التغيير لتضع مقدمات التحويل .

" إن الله سبحانه يحيط رسوله صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ بأنه قد رأى تقلب وجه رسوله الكريم في السماء وأجابه ليتجه إلى القبلة التي يرضاها. فهل معنى ذلك أن القبلة التي كان عليها الرسول صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وهي بيت المقدس لم يكن راضيا عنها؟ نقول لا. . وإنما الرضا دائما يتعلق بالعاطفة، وهناك فرق بين حب العاطفة وحب العقل. . ولذلك لا يقول أحد إن رسول الله صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ لم يكن راضيا عن قبلة بيت المقدس. . وإنما كان يتجه إلى بيت المقدس وفي قلبه عاطفة تتجه إلى الكعبة. . هذا يدل على الطاعة والالتزام " . [٢]

١)أنوار التنزيل (١/ ١١١)

٢) تفسير الشعراوي (١/ ٦٣٠)

المبحث الثالث

أحوال وجوه السعداء في الآخرة

تعددت دلالات وجوه السعداء في الآخرة بالوصف القرآني الحكيم الذي يدل علي الحالة النفسية السعيدة ، والذي يظهر واضحا جليا على صفحات وجوه المؤمنين من النعمة والكرامة والإحسان والإنعام .

المطلب الأول : الوجوه المسفرة

قال تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} [عبس: ٣٨، ٣٩]

وصف الله وجوه المؤمنين في الآخرة في هذه الآيات بأوصاف ثلاثة متلازمة :

١- (مُسْفِرَةُ) ذَاتُ الْإِسْفَارِ، وَالْإِسْفَارُ النُّورُ وَالضِّيَاءُ يُقَالُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ، إِذَا ظَهَرَ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي أُفُقِ الْفَجْرِ، أَيْ وُجُوهٌ مُتَهَلِّلَةٌ فَرَحًا وَعَلَيْهَا أَثَرُ النَّعِيمِ.

٢- وَ (ضَاحِكَةٌ) وهي تعبير عن السرور والسعادة التي تعلو وجوههم ، والضحك انبساط في الوجه يُظهر الأسنان فهي حركة لا إرادية من سرور النفس .

٣- وَ (مُسْتَبْشِرَةٌ) مَعْنَاهُ فَرِحَةٌ، وَالسِّينُ وَالتَّاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلَ: اسْتَجَابَ، وَيُقَالُ: بَشَرَ، أَيْ فَرِحَ وَسُرَّ، قَالَ تَعَالَى:{ قَالَ يَا بُشْرى هَذَا غُلامٌ } [يُوسُف: ١٩] أَيْ يَا فَرْحَتِي.

وَإِسْنَادُ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ إِلَى الْوُجُوهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ لِأَنَّ الْوُجُوهَ مَحَلُّ ظُهُورِ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ، فَهُوَ مِنْ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى مَكَانِهِ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ

الْوُجُوهَ كِنَايَةً عَنِ الذَّوَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ }[الرَّحْمَن: ٢٧] . وَهَذِهِ وُجُوهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُطْمَئِنِّينَ بَالًا الْمُكْرَمِينَ عَرْضًا وَحُضُورًا[١].

والمستبشرة أي ذات بشر وفرح بثواب ربها ولقائه فوجوههم ممتلئة من البشر والسرور لوجود البُشرى من ربهم فهو انبساط لبشرة الوجه تملأ وجوههم وتغمُر أعينهم السعادة .

وأسباب وصف وجوه المؤمنين بهذا الوصف قال الرازي " وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ لِمَا رُوِيَ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ[٢]، وَعَنِ الضَّحَّاكِ، مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَقِيلَ: مِنْ طُولِ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدِي أَنَّهُ بِسَبَبِ الْخَلَاصِ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا ، وَالِاتِّصَالِ بِعَالَمِ الْقُدْسِ وَمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ وَالرَّحْمَةِ ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي بِالْفَرَاغِ مِنَ الْحِسَابِ مُسْتَبْشِرَةٌ فَرِحَةٌ بِمَا نَالَتْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: مُسْفِرَةٌ إِشَارَةٌ إِلَى الْخَلَاصِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ وَتَبِعَاتِهِ ، وَأَمَّا الضَّاحِكَةُ وَالْمُسْتَبْشِرَةُ، فَهُمَا مَحْمُولَتَانِ عَلَى الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، أَوْ عَلَى وجدان المنفعة ووجدان التعظيم " [٣] .

وقال صاحب تفسير حدائق الروح والريحان " { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ } لابيضاضها في الدنيا بالتزكية والتصفية، وزوال كدوراتها {ضَاحِكَةٌ}؛ لأنها بكت في الله أيام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ما سوى الله تعالى مطلقًا، كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام. {مُسْتَبْشِرَةٌ} لأمنها بدل خوفها في الدنيا، ولذا قال تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣٨)

٢) سنن ابن ماجه ، باب ما جاء في قيام الليل ، حديث رقم ١٣٣٣، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ، وقال المحقق باطل مرفوعًا، والصواب أنه من كلام شريك .

٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٦٢)

[يونس:٦٤] بأن تقول لهم الملائكة: لا تخافوا وأبشروا بالجنة والرؤية. والضحك: هو انبساط الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس، ولظهور الأسنان عنده .. سميت مقدمة الأسنان ضواحك، ويستعمل في السرور المجرد كما في الآية" [١] .

ولا مانع في سبب هذه الوجوه بما نالها من كرامة الله عزّ وجلّ ، وبما علمت مآلها مِنَ الفوز العظيم والنعيم المقيم في جنة رب العالمين فكل ما سبق من الأسباب محتملة ويمكن الجمع بينها.

تصف الآية وجوه المؤمنين يوم القيامة بالنور والفرح والسرور والبشر والوضاءة والطمأنينة جزاء إيمانها، وما قدمت من أعمال صالحة ، فهي ضاحكة بما رأته العين ومستبشرة من سرور القلب بما وصل إليه من عين اليقين بما تلقاه في جنات النعيم ، فجاءت هذه العلامات علي وجوههم مما في الوجوه من قدرة على التعبير بما تحويه النفوس من مشاعر وعواطف حيث ينطبع ويظهر عليها كل ما يحصل للإنسان من مسرة أو إساءة .

فهذه وجوه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقدموا من الخير والعمل الصالح وبشكرها لنعم ربها وآلائه، وإيثارها ما أمرها به على ما تهواه ما ملأوا به صحفهم ، وثقلت به موازينهم فنالوا الرضا والرضوان من الكريم الرحمن .

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ١٣٩)

المطلب الثاني : الوجوه المبيضة

قال تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون} . [آل عمران: ١٠٦- ١٠٧]

وفي بياض الوجوه وسوادها قولان :

أحدهما: البياض كناية عن الفرح، والسرور، والسواد: كناية عن الغم والحزن، واستعمال البياض في السرور والسواد في الحزن عرف شائع لدى كل ناطق بالضاد على سبيل التجوز.

والقول الثاني: بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه، فيبيض وجه المؤمن، ويكسى نورًا، ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة؛ لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما . [١]

والحمل علي الحقيقة أولي كما ذكر الألوسي عن جمهور المفسرين قال " والمراد بالبياض معناه الحقيقي أو لازمه من السرور والفرح وكذا يقال في السواد، والجمهور على الأول قالوا: يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراق البشرة تشريفا لهم ، وإظهارا لآثار أعمالهم في ذلك الجمع، ويوسم أهل الباطل بضد ذلك، والظاهر أن الابيضاض والاسوداد يكون لجميع الجسد إلا أنهما أسندا للوجوه لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص وتراه وهو أشرف أعضائه " [٢] .

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٥/ ٥٥)

٢) روح المعاني (٢/ ٢٤١)

" وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ حَقِيقِيَّانِ يُوسَمُ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ خَاصَّانِ لِأَن هَذَا من أَحْوَالِ الْآخِرَةِ فَلَا دَاعِيَ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ " (١) .

فبَيَاضَ الْوُجُوهِ وَسَوَادَهَا هُنَا مِنْ بَابِ الْحَقِيقَةِ، بمشاهد محسوسة وَ ذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ودليله قَوْلِهِ – تَعَالَى –:{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ } [الزمر: ٦٠]

والحكمة في بياض الوجوه وسوادها: أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن، عرفوا أنه من أهل السعادة، وإذا رأوا سواد وجه الكافر؛ عرفوا أنه من أهل الشقاوة. ونحو هذه الآية قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } (٢) وفي الحديث: "إن أمتي يحشرون غرًّا محجلين من أثر الوضوء" (٣) .

تصف الآية الكريمة حال الوجوه ولونها يوم القيامة في مشهد محسوس لا يمكن إغفاله فهو حال واضح يدل علي حقيقة حال صاحبه من غير ألفاظ " فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه " (٤) .

فمن اطمئن إلي فضل الله وكرمه من المؤمنين بالله ورسوله وأهل طاعته ابيض وجهه وأشرق بالنور وفاض بالبشر والبشارة والنضارة .

---

١) التحرير والتنوير (٤/ ٤٤)

٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٥/ ٥٦)

٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، وَالغُرُّ المُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء (١/ ٣٩)

٤) تفسير الكشاف (١/ ٣٩٩)

والمعنى أن النور يسطع من وجوههم وأيديهم يوم القيامة وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها الله عز وجل شهداء على الناس.

" واختلف في وقت ذلك فقيل: وقت البعث من القبور، وقيل: وقت قراءة الصحف، وقيل: وقت رجحان الحسنات والسيئات في الميزان " [1] أو في أي مشهد من مشاهد يوم القيامة .

المطلب الثالث : الوجوه الناضرة

قال تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣]

" فَالْوُجُوهُ النَّاضِرَةُ وُجُوهُ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَتَنْكِيرُ وُجُوهٌ لِلتَّنْوِيعِ وَالتَّقْسِيمِ ، فَالْوُجُوهُ النَّاضِرَةُ الْمَوْصُوفَةُ بِالنَّضْرَةِ (بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الضَّادِ) وَهِيَ حُسْنُ الْوَجْهِ مِنْ أَثَرِ النِّعْمَةِ وَالْفَرَحِ، وَفِعْلُهُ كَنَصَرَ وَكَرُمَ وَفَرِحَ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: نَاضِرٌ وَنَضِيرٌ وَنَضِرٌ، وَكُنِّيَ بِنَضْرَةِ الْوُجُوهِ عَنْ فَرَحِ أَصْحَابِهَا وَنَعِيمِهِمْ، قَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } [المطففين: ٢٤] لِأَنَّ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنَ الِانْفِعَالَاتِ يَظْهَرُ أَثَرُهُ.

وَأَخْبَرَ عَنْهَا خَبَرًا ثَانِيًا بِقَوْلِهِ:{ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ } وَظَاهِرُ لَفْظِ ناظِرَةٌ أَنَّهُ مِنْ نَظَرَ بِمَعْنَى: عَايَنَ بِبَصَرِهِ إِعْلَانًا بِتَشْرِيفِ تِلْكَ الْوُجُوهِ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى نَظَرًا خَاصًّا لَا يُشَارِكُهَا فِيهِ مَنْ يَكُونُ دُونَ رُتَبِهِمْ، فَهَذَا مَعْنَى الْآيَةِ بِإِجْمَالِهِ ثَابِتٌ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَقَدْ أَيَّدَتْهَا الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ «أَنَّ أُنَاسًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي

---

١) روح المعاني (٢/ ٢٤٢)

رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا[١] » [٢] .

" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ أي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم إذ تقوم القيامة بهية متهللة من عظيم المسرة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وُجُوهٌ مبتدأ وناضِرَةٌ خبره " [٣]

وَأَلْفَاظُ الْمُفَسِّرِينَ مُخْتَلِفَةٌ فِي تَفْسِيرِ النَّاضِرِ، وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ قَالُوا: مَسْرُورَةٌ، نَاعِمَةٌ، مضيئة، مسفرة، مُشْرِقَةٌ بَهِجَةٌ . [٤]

يصف الله وجوه المؤمنين بصفة تلازمهم يوم القيامة ، لأن الوجه مرآة للنفس فيظهر عليه من الراحة والسعادة ما تكنه صدورهم فيعلو علي وجوههم . فتصير وجوههم حسنة مشرقة، ألا وهي وجوه المؤمنين المخلصين الصادقين. وهذه الوجوه تنظر إلى ربها في هذا اليوم نظرة سرور ورضا مضيئة مشرقة تشاهد عليها نضرة النعيم ، ثم يأتي الكرم الأكبر والفضل الأعظم فهي إلى ربها، ومالك أمرها، وخالقها {نَاظِرَةٌ}؛ أي: تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب، بحيث تراه- سبحانه- على ما يليق بذاته، وكما يريد أن تكون رؤيته- عز وجل- بلا كيفية، ولا جهة، ولا ثبوت مسافة قال ابن كثير: " وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهُدَاةِ الْأَنَام " [٥].

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ،حديث رقم ٧٤٣٩ ،(٩/ ١٢٩)

٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٥-٣٥٣)

٣) روح المعاني (١٥/ ١٦٠)

٤) مفاتيح الغيب (٣٠/ ٧٣٠)

٥) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٨)

فقد أخرج مسلم عن صهيب عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل " [1] .

المطلب الرابع : الوجوه الناعمة

قال تعالى : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ } [الغاشية: ٨، ٩]

" ناعِمَةٌ: خَبَرٌ عَنْ وُجُوهٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنْ (نَعُمَ)بِضَمِّ الْعَيْنِ يَنْعُمُ بِضَمِّهَا الَّذِي مَصْدَرُهُ نُعُومَةٌ وَهِيَ اللِّينُ وَبَهْجَةُ الْمَرْأَى وَحُسْنُ الْمَنْظَرِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنْ(نَعِمَ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ يَنْعَمُ مِثْلَ حَذِرَ، إِذَا كَانَ ذَا نِعْمَةٍ، أَيْ حَسَنُ الْعَيْشِ وَالتَّرَفِ " [2] .

" لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَعِيدَ الْكُفَّارِ، أَتْبَعَهُ بِشَرْحِ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ، فَذَكَرَ وَصْفَ أَهْلِ الثَّوَابِ أَوَّلًا، ثُمَّ وَصَفَ دَارَ الثَّوَابِ ثَانِيًا أَمَّا وَصْفُ أَهْلِ الثَّوَابِ فَبِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا: فِي ظَاهِرِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ناعِمَةٌ أَيْ ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ، كَقَوْلِهِ: { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } [المطففين: ٢٤] أو متنعمة. والثاني: في باطنهم وهو قوله تعالى: { لِسَعْيِها راضِيَةٌ } " [3] وَالْمُرَادُ بِالسَّعْيِ: الْعَمَلُ الَّذِي يَسَعَاهُ الْمَرْءُ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ. وَالرِّضَى: ضِدَّ

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ،حديث رقم (١٨٠) ، (١/ ١٦٣)

٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٩)

٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٤١)

السُّخْطِ، أَيْ هِيَ حَامِدَةٌ مَا سَعَتْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ امْتِثَالُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] .

وصف الله عز وجل وجوه أهل الجنة أصحاب العمل المرضي الموفق والسعي المشكور والجهد المأجور بأنها ناعمة ليُظهر لنا سبحانه حالة الرضا النفسي والطمأنينة القلبية الذي نشأ عن فرحها بالعمل الذي قدمته في الدنيا وتحملت مشاق التكاليف فأبصرت فضل الله عليها من الإكرام والإنعام والتي ظهرت أثارها على وجوه أصحابها بدلالة واضحة ووصف كاشف ، فنعمة الرضا تظهر علي وجوه أصحابها ، وتلقي علي وجهه آثار السرور والنعيم فما أجمله من تصوير وما أبلغه من وصف {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢]

١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٩)

المبحث الرابع

وجوه الأشقياء في الآخرة

تنوعت أوصاف وجوه الأشقياء في الآخرة ، وتعددت دلالاتها بما يوضح حال الكافرين في يوم القيامة ؛ فوصفها بالسواد والغبرة والقترة وكلها ألفاظ توحي بالحسرة والندامة والخسران المبين .

المطلب الأول : الوجوه المسودة

قال تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون} [آل عمران: ١٠٦] { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِين} [الزمر: ٦٠] ويلحق بأصحاب الوجوه المسودة ذلك الوصف {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: ٢٧]

" البياض والسواد كنايتان عن بهجة السرور وكآبة الحزن، والأصح أنهما علامتان حقيقيتان "[١]

" وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ بما ينالهم من الشدة التي تغير ألوانهم حقيقة، ولا مانع من أن يجعل سواد الوجوه حقيقية علامة لهم غير مترتب على ما ينالهم، وجوز أن يكون ذلك من باب المجاز لا أنها تكون مسودة حقيقة بأن يقال: إنهم لما يلحقهم من الكآبة ويظهر عليهم من آثار الجهل بالله عزّ وجلّ يتوهم فيهم ذلك. والظاهر أن

١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٢٨٠)

الرؤية بصرية والخطاب إما لسيد المخاطبين عليه الصلاة والسلام، وإما لكل من تتأتى منه الرؤية " (١)

" وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَسْوَدُّ وُجُوهُهُمْ. فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْوِدَادُ الْوُجُوهِ حَقِيقَةً جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَامَةً لَهُمْ وَجَعَلَ بَقِيَّةَ النَّاسِ بِخِلَافِهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اسْوِدَادَ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَامَةً عَلَى سُوءِ الْمَصِيرِ كَمَا جَعَلَ بَيَاضَهَا عَلَامَةً عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ قَالَ تَعَالَى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ } " (٢)

" وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ سَوَادٌ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ أَنْوَاعِ السَّوَادِ ، وَهُوَ سَوَادٌ يَدُلُّ عَلَى الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، فَسَوَادُ قُلُوبِهِمْ أَوْجَبَ سَوَادَ وُجُوهِهِمْ " (٣)

و" يوم القيامة تكون الوجوه بلون القلب، فالقلوب الكاذبة لما كانت مسودة بسواد الكذب، وظلمة الكفر؛ تلونت وجوههم بلون القلوب " (٤)

وبتدقيق النظر في الآيات السابقة نجد الحالة الجسدية المتمثلة في لون الوجه فالوجه كاشف عن أحوال أصحاب هذه الوجوه بلونه الأسود بدلالة عميقة التأثير فريدة في الوصف عند السامع في الدنيا فيسمع وكأنه يشاهد في تصوير دقيق ثم تكون المشاهدة الحقيقية بالرؤية البصرية لهؤلاء الكفار يوم القيامة بسبب كفرهم وعنادهم ؛ الذين كذبوا على الله، فنسبوا – له كذبا – أن له ولدًا، وأن له صاحبة ، وأن له شريكًا، وعبدوا آلهةً من دونه، مجللةً بالسواد، لما أحاط بها من الكآبة والحزن الذي علاها، والغم الذي لحقها.

---

١) روح المعاني (١٢/ ٢٧٤)

٢) التحرير والتنوير (٢٤/ ٤٩)

٣) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٦٩)

٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٥/ ٦٣)

وبما عاينوه من هول الموقف وما آلت إليه أحوالهم من دخولهم النار ، فالسواد مشاهد محسوس مثل سواد الليل البهيم فهي ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، سواد حالك كأن وجوه أهل النار، لفرط سوادها، ألبست طائفة من سواد الليل المظلم.

المطلب الثاني : الوجوه الباسرة

قال تعالى : {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة: ٢٤]

قوله: (بَاسِرَةٌ) يقول تعالى ذكره: ووجوه يومئذ متغيرة الألوان، مسودة كالحة، كاشرة [١].

أو (بَاسِرَةٌ) كريهة مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها [٢].

أو (بَاسِرَةٌ) كالحة عابسة كئيبة؛ أي: شديدة العبوس مظلمة ليس عليها أثر السرور أصلًا [٣].

" بَسَر يَبسُرُ بسراً وبُسُوراً : إذا قبض ما بين عينيه كراهة للشيء واسود وجهه منه، يقال: وجه باسر، أي منقبض مسود كالح متغير اللون، وقال الراغب: البسر استعجال الشيء قبل أوانه، نحو: بسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها ، وماء بُسْر متناول من غديره قبل سكونه، ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر: بُسْر، فإن قيل: فقوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة: ٢٤] ، ليس يفعلون ذلك قبل الموت، وقد قلت: إن ذلك يكون فيما يقع قبل وقته. قيل: أشير بذلك إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار، فخص لفظ البسر تنبيهاً على أن ذلك مع ما ينالهم من بعد، يجري مجرى

١) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٧٣)

٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٣)

٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٤٥١)

التكليف، ومجرى ما يفعل قبل وقته، ويدل على ذلك {تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة: ٢٥] " .[١]

الوجوه الباسرة نوع ثان من وجوه الناس يوم القيامة هي وجوه أهل الشقاء والتعاسة فيخبر الله عن هؤلاء الكفار بأنّ وجوههم عابسة كالحة تعيسة مقطبة يظهر عليها علامات الحزن والأسى لما تحل بها من الكارثة المحققة ؛ القاصمة للظهر المحطمة للفقار فكأنما نزلت به مصيبة شديدة أقعدته عن الحركة فينعكس ذلك علي وجوههم فتصبح عابسة مسودة مظلمة ليس عليها أثر السرور كاشرة متغيرة لما علمت من مآلها ومصيرها إلي النار فقد جاء وصف الوجوه بالعلامات الواضحة التي تكون لأصحابها الكفار الفجار الذين لم ينتبهوا إلي ذلك الوعيد الصادق من الله بجزائهم جزاءً وفاقا { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢] .

المطلب الثالث : الوجوه المُغبَرة

{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَة } [عبس: ٤٠ – ٤٢]

– {غَبَرَةٌ} أي: غبار وكدورة لما تراه مما أعده الله لها من العذاب الأليم. {تَرْهَقُهَا}؛ أي: يغشاها ويعلوها {قَتَرَةٌ}؛ أي: سواد وظلمة كالدخان، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما إذا اغبر وجه الزنجي، قال سهل رحمه الله تعالى: غلب عليها إعراض الله عنها ومقته إياها، فهي تزداد في كل وقت ظلمة وقترة، {أُولَئِكَ} الموصوفون بسواد الوجه {هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}؛ أي: الجامعون بين الكفر والفجور، فلذا جمع الله سبحانه إلى سواد وجوههم الغبرة، أولئك هم الكفرة في حقوق الله، الفجرة في حقوق

١) اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥١٣)

العباد. انتهى. وفيه إشارة إلى أن الفجور غير المقارن بالكفر ليس في درجة المقارن في المذمومية، والسببية للحقارة والمهانة والخذلان. [1]

في هذه الآيات يصف الله وجوه الكافرين يوم القيامة بأن عليها (غبرة) أي غبار يعلوها وهو المتناثر من التراب وهو كناية عن ما يصيب هذه الوجوه من السواد والحزن الذي يكشف سوء عاقبتهم ثم يأتي الوصف الثاني بأنها تعلوها وتكسوها (قترة) فهي الظلمة التي تغشى وجوههم المسودة ، وذلك لكفرهم وفجورهم ، فقد جمع الله وصفين لهذه الوجوه (الغبرة والقترة) فهي مسودة تعلوها ظلمة وكآبة تشبه سواد الدخان إذا اجتمع مع الغبار ، فكأنها وجوه يجللها غبار الذل والهوان وسواد يكسوها من الغم والحزن فأصحاب هذه الوجوه نالت ما قدمت من الكفر بالله ورسوله ، وخرجوا عن حدوده وشرائعه ، وانتهكوا حرماته ، واقترفوا الكبائر، واتبعوا أهواءهم الباطلة ،ولزموا عقائدهم الزائفة ؛ فجمع الله تعالى إلي سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلي الكفر .

وخلاصة القول : نجد الحالة الجسدية لوصف الوجه بهذه الملامح وتلك السمات وكأن هذه الوجوه تعبر عن مآلها ونهايتها ؛ فما أجمله من وصف وما أبلغه من تعبير وما أدقه من تصوير .

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ١٤٠)

المطلب الرابع : الوجوه الخاشعة

قال تعالى: { هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ } [الغاشية: ١- ٣]

" ذَكَرُوا فِي الْغَاشِيَةِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْقِيَامَةُ مِنْ قَوْلِهِ: { يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ } [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٥] إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ بِهَذَا الِاسْمِ، لِأَنَّ مَا أَحَاطَ بِالشَّيْءِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ فَهُوَ غَاشٍ لَهُ، وَالْقِيَامَةُ كَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا تَرِدُ عَلَى الْخَلْقِ بَغْتَةً وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ } [يُوسُفَ: ١٠٧] ، وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ جَمِيعًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ بِالْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ .

الْقَوْلُ الثَّانِي: الْغَاشِيَةُ هِيَ النَّارُ أَيْ تَغْشَى وُجُوهَ الْكَفَرَةِ وَأَهْلِ النَّارِ قَالَ تَعَالَى:{ وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} [إِبْرَاهِيمَ: ٥٠] { وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ }[الْأَعْرَافِ: ٤١] الْقَوْلُ الثَّالِثُ: الْغَاشِيَةُ أَهْلُ النَّارِ يَغْشَوْنَهَا وَيَقَعُونَ فِيهَا وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ، لِأَنَّ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَصِيرُ الْمَعْنَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ بَعْضُ النَّاسِ فِي الشَّقَاوَةِ، وَبَعْضُهُمْ فِي السَّعَادَةِ. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ } فَاعْلَمْ أَنَّهُ وَصْفٌ لِأَهْلِ الشَّقَاوَةِ : وَالْمُرَادُ بِالْوُجُوهِ أَصْحَابُ الْوُجُوهِ وَهُمُ الْكُفَّارُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْوُجُوهَ بِأَنَّهَا خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُكَلَّفِ، لَكِنَّ الْخُشُوعَ يَظْهَرُ فِي الْوَجْهِ فَعَلَّقَهُ بِالْوَجْهِ لِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ الذُّلُّ فِي الْوَجْهِ، لِأَنَّهُ ضِدُّ الْكِبْرِ الَّذِي مَحَلُّهُ الرَّأْسُ وَالدِّمَاغُ " (١)

وخاشِعَةٌ: ذَلِيلَةٌ يُطْلَقُ الْخُشُوعُ عَلَى الْمَذَلَّةِ قَالَ تَعَالَى:{وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ }[الشورى: ٤٥] وَقَالَ:{ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ } [المعارج: ٤٤] .

---

١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٣٨)

وَالْعَامِلَةُ: الْمُكَلَّفَةُ الْعَمَلَ مِنَ الْمَشَاقِّ يَوْمَئِذٍ. وناصِبَةٌ: مِنَ النَّصَبِ وَهُوَ التَّعَبُ.

وَأُوثِرَ وَصْفُ خاشِعَةٌ وعامِلَةٌ وناصِبَةٌ تَعْرِيضًا بِأَهْلِ الشَّقَاءِ بِتَذْكِيرِهِمْ بِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْخُشُوعَ لِلَّهِ وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَالنَّصَبَ فِي الْقيام بِطَاعَتِهِ، فجزاؤهم خُشُوعٌ مذلّة، وَعَمَلُ مَشَقَّةٍ، وَنَصَبُ إِرْهَاقٍ،

وَعَلَيْهِ فَذَكَرَ: نَارًا بَعْدَ تَصْلى لِزِيَادَةِ التَّهْوِيلِ وَالْإِرْهَابِ . "[1] .

ذكر الله في هذه الآيات صفات هذه الوجوه وأحوالها ومكانها وزمانها، وهي وجوه الكفار يوم القيامة بدلالة ما بعدها من أوصاف . فجاء وصف هذه الوجوه بثلاث صفات متتابعة دون الفصل بينها بما يفيد أنها تعود إلي موصوف واحد ، أولها أنها (خاشعة) أي ذليلة بأنواع الخزي والهوان ، خاضعة ؛ خائفة ؛ منكسرة البصر من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب ، يظهر ذلك ساعة الحساب والعقاب ، فالذلة والخضوع عنوانا لهم ثم أتبع الوصف بالتأكيد بأنها (عاملة ، ناصبة) فعملت لغير الله ، ونصبت في غير رضاه فعملهم لم يكن محمودا فلا ثمرة له إلا التعب وخاتمته النار ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى :{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣] وقوله { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [النور: ٣٩] فأصحاب هذه الوجوه قائمة في عذاب لا راحة فيه ولا انقطاع من العمل الشاق مع العذاب الأليم ، وهي أيضا عاملة وناصبة في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال ، والانتقال من عذاب إلي عذاب ومن ذل إلي ذل . فهذا العمل

١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٦)

جاء عليها بالخسارة والخسران فواجهت النهاية المحتومة والعقاب المنتظر لها بوجه ذليل خائب الرجاء .

" وَأُوثِرَتِ الْوُجُوهُ بِالْكِنَايَةِ عَنْ أَصْحَابِهَا هُنَا وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّ حَالَةَ الْوُجُوه تنبأ عَنْ حَالَةِ أَصْحَابِهَا إِذِ الْوَجْهُ عُنْوَانٌ عَمَّا يَجِدُهُ صَاحِبُهُ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ شَقْوَةٍ"(١)

المطلب الخامس : الوجوه المسحوبة

قال تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر: ٤٧ – ٤٨]

" وَالسَّحْبُ: الْجَرُّ، وَهُوَ فِي النَّارِ أَشَدُّ مِنْ مُلَازمَة الْمَكَان لِأَنَّهُ بِهِ يَتَجَدَّدُ مُمَاسَّةُ نَارٍ أُخْرَى فَهُوَ أَشَدُّ تَعْذِيبًا. وَجُعِلَ السَّحْبُ عَلَى الْوُجُوهِ إِهَانَةً لَهُمْ " (٢)

" (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ) أي إن المشركين بالله المكذبين لرسله– في ضلال عن الصراط المستقيم، وعماية عن الهدى في الدنيا، وعذاب أليم في نار جهنم يوم القيامة.

ثم بين ما يلحقهم من الإهانة والإذلال حينئذ فقال: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) أي يعذبون ويهانون يوم يجرّون على وجوههم في النار، ويقال لهم إيلاما وتعنيفا: ذوقوا حر النار وآلامها جزاء وفاقا لتكذيبكم رسل ربكم في كل ما جاءوا به من الإنذار بهذا اليوم، والتحذير مما يقع فيه للكافرين من العذاب . " (٣)

١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٥)

٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢١٥)

٣) تفسير المراغي (٢٧/ ١٠٠)

يصف الله المجرمين وهم الكفار المشركون المعاندون أنهم في بُعد عن الاهتداء إلي الحق والصراط المستقيم وفي حيرة وتخبط بسبب انطماس بصيرتهم وإيثارهم للباطل فكان جزاؤهم ناراً مستعرة في جهنم يوم القيامة بسحب أصحاب هذه الوجوه وجرها في النار وعلى ذلك يكون مفهومه أن تكون الوجوه إلي الأسفل والأرجل إلي أعلى إهانة لهم وتحقيراً لشأنهم ، ثم تقول ملائكة العذاب وخزنة النار لهم توبيخا وتعنيفا ذوقوا حرارة النار ولفحها، وقاسوا آلامها ولهيبها إضافة إلي عذابها المحرق، وذلك يكون لأشرف عضو للإنسان وهو الوجه ثم تأتي باقي الأعضاء ، وهكذا جاءت الآيات معبرة عن الوجه الذي يسحب في النار دلالة على الذلة والمهانة ؛ لذا خصه الله بظهور آثار العقاب فيه .

الخاتمة

نسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله وكرمه ترفع الدرجات، وبعفوه تغفر السيئات ، ثم الصلاة الدائمة الكاملة على نبي الرحمة من المحيا إلي الممات . أما بعد ،،،،،،،،،

فهذه خاتمة البحث وفيها خلاصة ما كُتب ، وتلخيص ما سبق ، وبها أهم النتائج والتوصيات .

- الاتصال البشري ضرورة إنسانية واجتماعية بين الناس ، لأن الإنسان له من الحاجات والرغبات التي لابد من تحقيقها وذلك يكون بالتواصل فيما بينهم .
- الاتصال البشري يكون على نوعين ، أحدهما(لفظي) نطقا أو كتابة ، و(صامت) وهو لغة الجسد ، ويكون بالحركات والإيماءات والإشارات .
- تكمن أهمية لغة الجسد في أنها فطرية تولد مع الإنسان ، ولغة مشتركة بين جميع البشر مهما اختلفت اللغات ، أو تعددت الثقافات ؛ فهي متعارف عليها بين جميع الناس منذ بداية الخلق إلي قيام الساعة .
- لغة الجسد من أهم وسائل الاتصال البشري تأثيرا ؛ لأنها تخاطب العقل والعاطفة معاً فهي لغة حقيقية يتم التفاهم بها ويبنى عليها كثير من الأحكام .
- تتسم لغة الجسد بالمصداقية في كثير من المواقف لأنها تكون غالبا لا إرادية .
- لغة الجسد تختصر كثيرا من جُهد الكلمة ، وهي لغة مكملة ومؤكدة للفظ المنطوق .

- جاءت لغة الجسد في القرآن في آيات عديدة توضح المقصود ، وتفي بالمراد بدلالة وصفية بالغة التصوير ، عميقة التأثير.
- وصف القرآن الكريم في كثير من المواقف الحركة الجسدية للإنسان ، ودلالتها وكان من أبرزها وجه الإنسان .
- من أهم وسائل التواصل عبر لغة الجسد (الوجه) فهو قبلة الأنظار ، ومعرض الأفكار ،وعليه تظهر المشاعر الإنسانية والعواطف الداخلية فهو مرآة الإنسان وعنوانه .
- اهتم القرآن الكريم برصد حالات الوجوه في الدنيا والآخرة ؛ فجعله عنوانا على الفرح والسرور ، والحزن والغضب ؛ فالوجوه لها لغات ودلالا ت وتعبيرات تصف حالته بأكثر ما تحويه الجمل والعبارات .
- أظهر القرآن الكريم الحالة النفسية التي تظهر على الوجه في الدنيا في آيات عديدة كان من أهمها الوجوه المسودة ، المنكرة ، المساءة ، المنكبة ، الساجدة وغيرها .
- وصف الله مشاهد يوم القيامة وما يصاحبها من أهوال وكان من أبرز تلك المظاهر الوجه ، وما يعتريه من تغيير ، وما يطرأ عليه من تحويل وتبديل فهي محسوسة في الواقع ، شاخصة في الذهن ، ناطقة بمعان غير محدودة في أبلغ وصف ، وأدق رسم ولا يكون ذلك إلا بلغة الجسد.
- مصير الخلق يوم القيامة إلي فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير فجعل الله الوجه علامة لكل منهم ، فأصحاب الجنة وجوههم بيضاء مشرقة ، ناضرة إلى ربها ناظرة وغيرها من الأوصاف الربانية ، وكذلك عنوانا للكافرين بأنهم أهل الشقاء فوجوههم سوداء مظلمة كئيبة حزينة يعلوها غبرة ،ويجللها الذل ويكسوها الانكسار .

- تنوع أوصاف الوجوه يوم القيامة يجعل المؤمن طامحا أن يكون وجهه وجه أهل الصلاح والإيمان مبيضا مضيئا ، مستبشرا ضاحكا ، ولا يكون من النوع الثاني الذين اسودت وجوههم ، وأظلمت كالحة عابسة .
- تعتبر لغة الجسد في القرآن لوناً من ألوان الإعجاز القرآني في التواصل غير اللفظي أو الصامت .
- لابد من نشر ثقافة لغة الجسد بين المسلمين لما لها من أثر فعال في إصلاح المجتمعات ، ونشر ثقافة الحب والتسامح بين الآخرين ، ومنها الوصية النبوية بطلاقة الوجه والابتسامة .
- عمل معجم موسوعي للغة الجسد في القرآن والسنة ، وبيان أثر ذلك في علمي النفس والاجتماع .

أسأل الله العظيم أن يجعل ذلك العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم ، وأن يحشرنا في زمرة المتقين ، وأن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين ، وأن يشفع فينا سيد المرسلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم – جلّ من أنزله

١- الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق ، نضال أبو عياش ، الطبعة الأولي ، الناشر كلية فلسطين ، ٢٠٠٥م .

٢- الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ، ابراهيم أبو عرقوب ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ م ، عمان الأردن .

٣- الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين ، في ضوء القرآن والسنة ، د /عبد الله عودة ، مجلة المسلم المعاصر ، القاهرة عدد ١١٢ ، ٢٠٠٤م .

٤- الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم ، محمد الأمين موسى ، الطبعة الأولي ، دار الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ٢٠٠٣ م .

٥- البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي، علي ابن محمد ابن العباس ، المحقق: د/ وداد القاضي ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٦- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية ، د عبد الله هنداوي ، مطبعة الأمانة ، مصر ١٩٩٥ .

٧- البيان بلا لسان ، د مهدي عرار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

٨- البيان والتبيين، لعمرو ابن بحر ابن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢هـ .

٩- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، المؤلف : محمد الطاهر ابن محمد ابن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ،الناشر، الدار التونسية ، للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

١٠-تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق ابن غالب ابن عبد الرحمن ابن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١١- تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي ، البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي ابن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

١٢-تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ،المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٣-تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، المؤلف: محمد ابن عبد الرحمن ابن محمد ابن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .

١٤-تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

١٥-تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد ابن عمر ابن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١٦-تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم محمود ابن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
١٧-تفسير الشعراوي – الخواطر – لمحمد متولي الشعراوي ، الناشر: مطابع أخبار اليوم نشر عام ١٩٩٧ م .
١٨-تفسير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد ابن جرير ابن يزيد ابن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م
١٩-تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
٢٠-تفسير الماوردي النكت والعيون : لأبي الحسن علي ابن محمد ابن محمد ابن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .
٢١-تفسير المراغي ،المؤلف: أحمد ابن مصطفى المراغي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
٢٢- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ،المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي ابن حسين مهدي ،الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٢٣-زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن محمد الجوزي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٢٤-السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف: عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٢٥-سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ، محمد محمود بني يونس ، الطبعة الأولى ، دار المسيرة، عمان ، ٢٠٠٧ م .

٢٦-صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، لمحمد ابن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٧-صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٨-الفراسة ، لأبي عبد الله فخر الدين محمد ابن عمر الرازي ، تحقيق د يوسف مراد ، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ١٩٨٢م .

٢٩-اللباب في علوم الكتاب ،المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر ابن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .

٣٠-معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، المؤلف: إبراهيم ابن السري ابن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م .

٣١-المعجم الكبير للطبراني المعجم الكبير، لسليمان ابن أحمد ابن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المحقق: حمدي ابن عبد المجيد ، الطبعة: الثانية

٣٢-من مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم ، دراسة استقرائية ، حمد الله أحمد محمود عاصي ، القدس ، فلسطين ، القدس ، فلسطين ، ٢٠٠٨ .

References :

1- alaitisal al'iinsaniu min alnazariat 'iilaa altatbiq , nidal 'abu eayaash , altabeat al'awaliu , alnaashir kuliat filastin , 2005m .
2- alaitisal al'iinsaniu wadawruh fi altafaeul alaijtimaeii , abrahim 'abu eurqub , dar majdalawiun lilnashr waltawzie , 2009 m , eamaan al'urduni .
3- alaitisal alsaamit waeumquh altaathiriu fi alakharin , fi daw' alquran walsunat , d /eabd allah eawdat , majalat almuslim almueasir , alqahirat eadad 112 , 2004m .
4- alaitisal ghayr allafzii fi alquran alkarim , muhamad al'amin musaa , altabeat al'awaliu , dar althaqafat wal'iielam , alshaariqat , 2003 m .
5- albasayir waldhakhayir , li'abi hayaan altuwhidii, eali bin muhamad bin aleabaas , almuhaqiqi: da/ widad alqadi , alnaashir: dar sadir - bayrut , altabeatu: al'uwlaa, 1408 hi - 1988 m
6- albalaghat alquraniat fi altaswir bial'iisharat walharakat aljismiat , d eabd allah hindawi , matbaeat al'amanat , misr 1995 .
7- alibayan bila lisan , d mahdi earar, altabeat al'uwlaa, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 2007m .
8- alibyan waltabyinu, lieamriw bin bahr bin mahbub alkinaniu bialwala'i, allaythi, 'abu euthman, alshahir bialjahiz , dar wamaktabat alhilali, bayrut , 1423 hu .
9- altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>> , almualif : muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnusii ,alnaashir, aldaar altuwnisiat , lilnashr - tunis ,snat alnashri: 1984 hu

10- tafsir aibn eatiat almuharir alwajiz fi tafsir alkitab aleaziz , li'abi muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin tamaam bin eatiat al'andalusi almuharibii ,almuhaqiqi: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad , dar alkutub aleilmiat - bayrut , altabeatu: al'uwlaa - 1422 hu .
11- tafsir abn kathir tafsir alquran aleazim , li'abi alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii , albasarii thuma aldimashqii (almutawafaa: 774hi) , almuhaqiq: sami bin muhamad salamat , alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie , altabeatu: althaaniat 1420h - 1999 m .
12- tafsir al'alusii ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani , almualafi: shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusaynii al'alusi (almutawafaa: 1270hi) ,almuhaqiq: eali eabd albari eatiat , alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut , altabeatu: al'uwlaa, 1415 hu
13- tafsir al'iijii jamie albayan fi tafsir alquran , almualafi: muhamad bin eabd alrahman bin muhamad bin eabd allah alhusnii alhusaynii al'iijy alshafey (almutawafaa: 905ha) , dar alnashri: dar alkutub aleilmiat - bayrut , altabeatu: al'uwlaa, 1424 hi - 2004 m .
14- tafsir albaydawi 'anwar altanzil wa'asrar altaawil , linasir aldiyn 'abu saeid eabd allah bin eumar bin muhamad alshiyrazi albaydawi , almuhaqaqa: muhamad eabd alrahman almaraeashali, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut , altabeatu: al'uwlaa - 1418 hi .
15- tafsir alraazi mafatih alghayb 'aw altafsir alkabir , li'abi eabd allah muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymi alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazi khatib alrayi ,alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut , altabeatu: althaalithat - 1420 hu .

16- tafsir alzamakhasharii alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil , li'abi alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (almutawafaa: 538hi) , dar alkitaab alearabii - bayrut , altabeatu: althaalithat - 1407 hi.
17- tafsir alshaerawi - alkhawatir - limuhamad mutualiy alshaerawi , alnaashir: mutabie 'akhbar alyawm nushir eam 1997 m .
18- tafsir altabari , jamie albayan fi tawil alquran , limuhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli, 'abu jaefar altabari , almuhaqiqa: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrisalat , altabeatu: al'uwlaa, 1420 hi - 2000 m
19- tafsir alqurtubii aljamie li'ahkam alquran , li'abi eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrajii shams aldiyn alqurtubii , tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish , dar alkutub almisriat - alqahirat , altabeatu: althaaniatu, 1384h - 1964 m .
20- tafsir almawardi alnukt waleuyun : li'abi alhasan eali bin muhamad bin muhamad bin habib albasarii albaghdadii, alshahir bialmawardi , almuhaqiqi: alsayid aibn eabd almaqsud bin eabd alrahim ,alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut / lubnan .
21- tafsir almaraghi ,almualafa: 'ahmad bin mustafaa almaraghi , alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awladuh bimisr , altabeatu: al'uwlaa, 1365 hi - 1946 m .
22- tafsir hadayiq alruwh walrayhan fi rawabi eulum alquran ,almualafi: alshaykh alealaamat muhamad al'amin bin eabd allah al'armi alealawi alharri alshaafieii ,'iishraf wamurajaeatu: alduktur hashim muhamad eali bin husayn mahdi ,alnaashir: dar tuq alnajaati, bayrut - lubnan ,altabeati: al'uwlaa, 1421 hi - 2001 m

23- zad almasir fi eilm altafsiri, lijamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin eali bin muhamad aljawzi , almuhaqiq: eabd alrazaaq almahdi , alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut ,altabeati: al'uwlaa - 1422 h
24- alsiyrat alnabawiat liaibn hisham , almualafa: eabd almalik bin hisham bin 'ayuwb alhimyrii almueafiri, 'abu muhamad, jamal aldiyn , tahqiqu: mustafaa alsaqaa , wa'iibrahim al'abyarii , waeabd alhafiz alshalabi , alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabi wa'awladuh bimisr , altabeatu: althaaniatu, 1375h - 1955 m
25- sikulujya aldaafieiat waliainfiealat , muhamad mahmud bani yunus , altabeat al'uwlaa , dar almasirati, eamaan , 2007 m .
26- sahih albukharii aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah salaa allah ealayh wasalam wasunanuh wa'ayaamuh , limuhamad bin 'iismaeil 'abu eabdallah albukhari aljuefi , almuhaqaqa: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir , dar tawq alnajaat musawaratan ean alsultaniat bi'iidafat tarqim muhamad fuad eabd albaqi , altabeata: al'uwlaa, 1422h .
27- sahih muslim almusnid alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalam limuslim bin alhajaaj 'abu alhasan alqushayri alnaysaburi , almuhaqaqa: muhamad fuad eabd albaqi , alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut .
28- alfarasat , li'abi eabd allah fakhr aldiyn muhamad bin eumar alraazi , tahqiq d yusif murad , matbaeat alhayyat almisriat lilkitab , misr , 1982m .

29- allbab fi eulum alkitaab ,almualafu: 'abu hafs siraj aldiyn eumar bin ealii bin eadil alhanbali aldimashqii alnuemanii (almutawafaa: 775hi) ,almuhaqaqi: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut / lubnan ,altabeati: al'uwlaa, 1419 ha -1998m .
30- maeani alquran wa'iierabuh lilzujaj , almualafi: 'iibrahim bin alsirii bin sahla, 'abu 'iishaq alzujaj (almutawafaa: 311hi) , almuhaqiq: eabd aljalil eabduh shalabi , alnaashir: ealim alkutub - bayrut , altabeatu: al'uwlaa 1408 hi - 1988 m .
31- almuejam alkabir liltabaranii almuejam alkabiri, lisulayman bin 'ahmad bin 'ayuwb bin mutayr allakhmi alshaami, 'abu alqasim altabaranii , almuhaqaqa: hamdi bin eabd almajid , altabeatu: althaania
32- man mufradat allughat al'iishariat fi alquran alkarim , dirasat aistiqrayiyat , hamd allah 'ahmad mahmud easi , alquds , filastin , alquds , filastin , 2008 .